

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا
الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ
عَذَابَ أَلِيمٍ﴾ [يوسف: 25]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

ربط استيغصام
يوسف
بأستباقها،
والفاجأة بزواجها
وشكواها له
لدى الباب

لَمَّا حَكَى اللَّهُ ﷻ عَنْهَا أَنَّهَا هَمَّتْ بِهِ، وَأَنَّ يَوْسُفَ ﷺ لَمَّا رَأَى
الْبُرْهَانَ لَمْ يَهَمَّ بِهَا، أَتْبَعَهُ هُنَا بِكَيْفِيَّةِ طَلِبِهَا، وَأَنَّهُ قَامَ مُبَادِرًا إِلَى
بَابِ الْبَيْتِ هَارِبًا فَتَبِعَتْهُ الْمَرْأَةُ لَتَمْسِكَ الْبَابَ حَتَّى لَا يَخْرُجَ يَوْسُفُ،
فَسَبَقَ يَوْسُفُ وَأَدْرَكَتْهُ الْمَرْأَةُ فَتَعَلَّقَتْ بِقَمِيصِهِ مِنْ خَلْفِهِ فَجَذَبَتْهُ
إِلَيْهَا حَتَّى لَا يَخْرُجَ؛ فَقَالَ: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ (1).

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَأَسْتَبَقَا﴾: ابْتَدَرَا وَأَسْرَعَا إِلَيْهِ (2)، يُقَالُ: اسْتَبَقَ إِلَى الشَّيْءِ
يَسْتَبِقُ، اسْتَبَاقًا، فَهُوَ مُسْتَبِقٌ، إِذَا أَسْرَعَ إِلَيْهِ وَابْتَدَرَهُ، وَالْاسْتَبَاقُ:
افْتِعَالٌ مِنَ السَّبَقِ، وَأَصْلُ السَّبَقِ تَقَدُّمُ الشَّيْءِ مِنْ بَيْنِ مَا حَوْلَهُ فِي قُوَّةٍ
وَجِدٍّ (3)، وَالسَّبَقُ الْقُدَمَةُ فِي الْجَرِيِّ، وَفِي كُلِّ أَمْرٍ، يُقَالُ: لَهُ فِيهِ سَبَقٌ
وَسُبْقَةٌ وَسَابِقَةٌ، أَيْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَيْهِ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ لِلرَّجُلَيْنِ إِذَا
اسْتَبَقَا: سَبَقَانِ، وَهُم سَبَقِي وَأَسْبَاقِي، وَسَابِقُهُ مُسَابِقَةٌ وَسِبَاقًا (4)،
وَمِنْهُ: سَبَقَهُ فِي الْجَرِيِّ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ: تَقَدَّمَهُ. وَاسْتَبَقَ الْفَارِسَانِ
عَلَى فَرَسَيْهِمَا إِلَى أَمَدٍ: تَسَابَقَا إِلَيْهِ، فَاسْتَوَلَى أَحَدُهُمَا عَلَى الْغَايَةِ،
إِذَا سَبَقَ الْآخَرُ إِلَيْهَا (5)؛ وَالْمَعْنَى هُنَا: تَسَابَقَا إِلَيْهِ (6).

(1) البغوي، معالم التنزيل: 2/487، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 18/444.

(2) الكجراتي، ومجمع بحار الأنوار: (سبق).

(3) الرَّاغِب، المفردات: (سبق)، وجبل، للعجم الاشتقاقِي للوُضَل: (سبق).

(4) ابن سيدة، للخصص: (التَّقدُّم والسَّبَق).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (ولي).

(6) الغليمي، فتح الرُّحْمَن: 3/410.

(2) ﴿وَقَدَّتْ﴾: بمعنى شَقَّتْ⁽¹⁾، يُقَالُ: قَدَّ فُلَانُ الشَّيْءَ يَقْدُهُ قَدًّا، إِذَا شَقَّه، وَأَصْلُ (قَدَّ): يَدُلُّ عَلَى قَطْعِ الشَّيْءِ وَشَقِّهِ طَوْلًا⁽²⁾، وَمِنْهُ الْقَدِيدُ: مَا قُطِعَ مِنَ اللَّحْمِ طَوْلًا وَجُفَّفَ⁽³⁾، وَالْقِدَّةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ⁽⁴⁾، وَصَارَ الْقَوْمُ قِدْدًا: تَفَرَّقَتْ أَهْوَاؤُهُمْ وَتَقَطَّعَتْ⁽⁵⁾؛ وَالْمَعْنَى هُنَا: قَطَعَتْهُ، وَشَقَّتْهُ طَوْلًا⁽⁶⁾.

(3) ﴿قَمِيصُهُ﴾: ثَوْبُهُ، وَالْقَمِيصُ ثَوْبٌ مَخِيطٌ بِكُمَيْنِ⁽⁷⁾، وَأَصْلُ (قَمَص) يَدُلُّ عَلَى لُبْسِ شَيْءٍ وَالْإِنْشِيَاءِ فِيهِ، وَالْقَمِيصُ لِلْإِنْسَانِ مَعْرُوفٌ يُقَالُ: تَقَمَّصَهُ، إِذَا لَبَسَهُ⁽⁸⁾، وَقَمَّصَ الثَّوْبَ: قَطَعَ مِنْهُ قَمِيصًا، وَتَقَمَّصَ قَمِيصَهُ: لَبَسَهُ، وَالْجَمْعُ: أَقِمَصَةٌ وَقَمَّصٌ وَقَمَّصَانُ⁽⁹⁾. وَمِنَ الْمَجَازِ: قَمَّصَهُ اللَّهُ وَشَيَّ الْخِلَافَةَ. وَتَقَمَّصَ لِبَاسَ الْعِزِّ. وَهَتَكَ الْخَوْفُ قَمِيصَ قَلْبِهِ؛ أَيَّ: حِجَابَهُ⁽¹⁰⁾.

(4) ﴿دُبْرٍ﴾: أَيَّ: خَلْفٍ، وَأَصْلُ الدُّبْرِ: آخِرُ الشَّيْءِ، وَخَلْفُهُ خِلَافٌ قَبْلُهُ⁽¹¹⁾، وَالدُّبْرُ وَالدُّبْرُ: نَقِيضُ الْقَبْلِ، وَدُبْرُ كُلِّ شَيْءٍ عَقِبُهُ وَمُؤَخَّرُهُ؛ وَجَمْعُهُمَا: أَدْبَارٌ، وَدُبْرُ كُلِّ شَيْءٍ خِلَافٌ قَبْلِهِ، وَدُبْرُ الشَّهْرِ آخِرُهُ عَلَى الْمَثَلِ، يُقَالُ: جِئْتُكَ دُبْرَ الشَّهْرِ، وَفِي دُبْرِهِ، وَعَلَى دُبْرِهِ⁽¹²⁾؛ وَالْإِدْبَارُ: نَقِيضُ الْإِقْبَالِ الْإِقْبَالِ. وَأَدْبَرْتُ الْبَعِيرَ فَدَبَّرَ. وَأَدْبَرَ الرَّجُلُ، إِذَا دَبَرَ بَعِيرَهُ، وَالْإِسْتِدْبَارُ: خِلَافُ الْإِسْتِقْبَالِ. وَالتَّدْبِيرُ فِي الْأَمْرِ: أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَا يُوَلِّوهُ إِلَيْهِ عَاقِبَتُهُ⁽¹³⁾. وَالْمَعْنَى هُنَا: مِنْ وَرَائِهِ وَخَلْفَهُ⁽¹⁴⁾.

(5) ﴿وَأَلْفَيَا﴾: وَجَدَا، يُقَالُ: أَلْفَيْتُهُ إِفَاءً إِذَا لَقَيْتُهُ وَوَجَدْتُهُ، وَأَصْلُ (أَلْفَى): وَجُودُ الشَّيْءِ

(1) الزَّازِي، مَخْتَارُ الصَّحَاحِ: (قَدَّ).

(2) الزَّاعِب، الْفَرْدَات، وَابْنُ فَارِس، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (قَدَّ).

(3) جَبَل، لِلْعَجْمِ الْإِسْتِقَاقِي لِلْوَصْلِ: (قَدَّ).

(4) ابْنُ مَنْظُور، لِسَانُ الْعَرَبِ: (قَدَّ).

(5) الْأَزْهَرِي، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ: (قَدَّ).

(6) ابْنُ جَرِير، جَامِعُ الْبَيَانِ: 13/101، وَالْهَرِيرِي، حُدُودُ الرُّوحِ وَالزَّيْحَانِ: 13/410.

(7) الزَّيْدِي، تَاجُ الْعُرُوسِ: (قَمَص).

(8) ابْنُ فَارِس، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (قَمَص).

(9) ابْنُ سِيدَه، الْحَكَم، وَابْنُ مَنْظُور، لِسَانُ الْعَرَبِ: (قَمَص).

(10) الزَّمَخْشَرِي، أُسَاسُ الْبَلَاغَةِ: (قَمَص).

(11) ابْنُ فَارِس، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ، وَالزَّاعِب، الْفَرْدَات: (دَبَرَ).

(12) ابْنُ مَنْظُور، لِسَانُ الْعَرَبِ: (دَبَرَ).

(13) الْجَوْهَرِي، الصَّحَاح: (دَبَرَ).

(14) الْقُرْطُبِي، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: 9/170، وَحَقِّي، رُوحُ الْبَيَانِ: 4/240.

أو إِيَّاكَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، أو فِي الْمُنَاقِلِ⁽¹⁾، ويكون فِي الْأَعْيَانِ، وفي الصِّفَاتِ والمعاني، كقولهم: أَلْفِيَّتُهُ صَادِقًا، أو كاذِبًا؛ أي: وجدته على هذه الصِّفَةِ⁽²⁾، ومعنى ﴿وَأَلْفَيَا﴾: وَوَجَدَا وَصَادَفَا زَوْجَهَا⁽³⁾.

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

وَأَسْرَعَ يَوْسُفَ إِلَى الْبَابِ يَرِيدُ الْخُرُوجَ، وَأَسْرَعَتْ تَحَاوَلَتْ أَنْ تَسْبِقَهُ إِلَيْهِ، لَتَحُولَ دُونَ خُرُوجِهِ، وَجَذَبَتْ قَمِيصَهُ مِنْ خَلْفِهِ لَتَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخُرُوجِ فَشَقَّتْهُ، وَوَجَدَا زَوْجَهَا عِنْدَ الْبَابِ، قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ لِلْعَزِيزِ مُحْتَالَةً: لَيْسَ عِقَابُ مَنْ قَصَدَ بَزَوْجَتَكَ - يَا عَزِيزٌ - فَعَلَ الْفَاحِشَةَ إِلَّا السَّجْنَ، أَوْ أَنَّ يُعَذَّبَ عَذَابًا مُوجِعًا⁽⁴⁾.

✽ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلغة العطف وأثره في السياق:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ عاطفة، والجملة مُتَّصِلَةٌ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾؛ والمعنى: ولقد هَمَّتْ به وأبى هو، واستَبَقَا إِلَى الْبَابِ الْخَارِجِيِّ⁽⁵⁾؛ فَهِيَ عَطْفٌ حَدَّثَ عَلَى حَدَثٍ، وَهُوَ بَدَايَةُ الْفَرَجِ مِنْ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ الْعَظِيمِ الَّذِي مَرَّ بِهِ النَّبِيُّ الْعَظِيمُ الْكَرِيمُ ﷺ، فِي تِلْكَ الْغُرْفَةِ الْمُغْلَقَةِ وَالفِتْنَةِ الْمُحْدِقَةِ.

دلالة الإيجاز في قوله: ﴿وَأَسْتَبَقَا﴾:

الاستِباقُ: افْتِعَالٌ مِنَ السَّبَقِ، وَهُوَ هُنَا إِشَارَةٌ إِلَى تَكَلُّفِهِمَا السَّبَقَ؛ أَي: إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَحَاوِلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ السَّابِقُ إِلَى الْبَابِ⁽⁶⁾، وَقَدْ

(1) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 215، وابن الهائم، التبيان، ص: 242، وجبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (لفو).

(2) السَّامِنُ الْحَبِيبُ، عمدة الخفايا: (لفي)، وجبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (لفو).

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 6/260.

(4) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 335، ونُخْبَةٌ مِنْ أَسَاتِذَةِ التَّفْسِيرِ، التفسير للبشر، ص: 238، وجماعة من علماء التفسير، المختصر، ص: 238.

(5) الدرويش، إعراب القرآن الكريم: 4/474.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/255.

بيان مدافعة
يوسف للمرأة،
ومسارعتها
لشكوى فوز
مصادفة زوجها
لدى الباب

خشية الله في
الأزمة مُفْضِيَةٌ
إلى دفع المحنة،
والوقاية من
الفتنة

بيان الاستِباق
إلى الباب مع
اختلاف القصد؛
لتحقيق الهدف
المتوخى

ذَكَرَ ﷺ مُبَالَغَتَهُ فِي الْامْتِنَاعِ بِالْجِدِّ فِي الْهَرَبِ، دَلِيلًا عَلَى إِخْلَاصِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَهْمُ بِهَا أَصْلًا فَقَالَ: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾⁽¹⁾، وَفِي صِيغَةِ الْافْتِعَالِ هَذِهِ بَيَانٌ لاختصار القرآن المعجز الذي يجتمع فيه جملة من المعاني، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى بَرَهَانَ رَبِّهِ، هَرَبَ مِنْهَا فَتَعَادِيَا، هِيَ لَتَرُدَّهُ إِلَى نَفْسِهَا، وَهُوَ لِيَهْرَبَ عَنْهَا، فَأَدْرَكَتْهُ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ⁽²⁾.

بلاغة التضمين في لفظ الاستباق:

فِي لَفْظِ ﴿وَأَسْتَبَقَا﴾ تَضْمِينٌ؛ إِذْ تَضَمَّنَ فِعْلُ الْاِسْتِبَاقِ مَعْنَى الْقَصْدِ⁽³⁾، لِيَكُونَ جَمَاعَ الْمَعْنَى: قَصْدَا الْبَابِ مُتَسَابِقَيْنِ، أَوْ تَسَابِقَا قَاصِدَيْنِ الْبَابِ. وَهُوَ أَقْوَى مِنْ إِعْطَاءِ مَعْنَى وَاحِدٍ. فَيُوسُفُ ﷺ جَرَى مُسْرِعًا لِلْخُلَاصِ مِنْهَا، وَهِيَ مُتَشَبِّئَةٌ بِهِ لِقَضَاءِ شَهْوَتِهَا، وَحَاجَتِهَا مِنْهُ.

نكتة نصب المفعول بنزع الخافض:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ عَوْضٌ مِنْ: (وَأَسْتَبَقَا إِلَى الْبَابِ)؛ أَيُّ: أَوْجَدَا الْمُسَابَقَةَ بَغَايَةِ الرَّغْبَةِ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا، هَذَا لِلْهَرَبِ مِنْهَا، وَهَذِهِ لِمَنْعِهِ، فَأَوْصَلَ الْفِعْلَ إِلَى الْمَفْعُولِ بِدُونِ (إِلَى)؛ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا بِذَلِكَ أَقْصَى جَهْدِهِ فِي السَّبْقِ، فَلَحَقَتْهُ عِنْدَ الْبَابِ الْأَقْصَى مَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ سَبَقَهَا بِقُوَّةِ الرُّجُولِيَّةِ وَقُوَّةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْفِرَارِ إِلَى اللَّهِ⁽⁴⁾. فَفِي الْكَلَامِ حَذْفُ حَرْفِ الْجَرِّ، وَإِيصَالُ الْفِعْلِ إِلَى الْمَفْعُولِ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامَ اخْتِصَارٍ، حَتَّى يَنْسَجِمَ النَّصُّ مَعَ الْمَشْهَدِ⁽⁵⁾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ أَصْلُهُ: (اسْتَبَقَا إِلَى الْبَابِ) وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: 155]؛ أَيُّ: مِنْ

تسابقا قاصدين
الباب بقضدين
متباينين

المقام مقام
اختصار لا
تطويل، وهو
ما ينسجم مع
المشهد

تضمين
الاستباق معنى
الابتدأ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/66.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/170.

(3) عفيف، الشامل: 2/79.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 10/66.

(5) الهري، حقائق الرّوح والزّيحان: 13/377.

قومه⁽¹⁾، أو على تضمين ﴿وَأَسْتَبَقَا﴾ معنى (ابْتَدَرَا)، فَضْمَنَ الاستباق معنى الابتدارِ فَعُدِّيَ تَعْدِيَّتُهُ⁽²⁾.

نكتة ذكر الاستباق إلى الباب:

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ معناه: سَابَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ إِلَى الْبَابِ، هِيَ لِحَاقًا بِهِ لَتَرُدَّهُ إِلَى نَفْسِهَا، وَطَلَبًا لَهُ لئَلَّا يُفْلِتَ مِنْ يَدِهَا، وَتُقْلَسَ مِمَّا أَرَادَتْهُ عَلَيْهِ⁽³⁾، وَهُوَ لِيَهْرَبَ عَنْهَا، وَالْخِلَاصِ مِمَّا تَرِيدُهُ بِسَبَبِ الْفَعْلَةِ الَّتِي كَانَتْ تَطْلُبُهَا مِنْهُ⁽⁴⁾، فَاخْتَلَفَ الْقَصْدُ وَالْغَايَةُ، فَيُوسَفُ ۖ أَسْرَعَ إِلَى الْبَابِ هَرْبًا، وَأَمَّا امْرَأَةُ الْعَزِيزِ فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ طَلَبًا⁽⁵⁾.

نكتة ذكر اشتراكهما في الاستباق:

قَدْ يُقَالُ: إِنَّ مُقْتَضَى قُوَّةِ الرُّجُولِيَّةِ، أَنَّهُ يَسْبِقُهَا وَلَمْ يَعْصَهُ عَائِقُ، وَالْجَوَابُ: بَأَنَّ الَّذِي عَاقَهُ عَنِ السَّبْقِ، إِنَّمَا هُوَ الْاِشْتِغَالُ بِفَتْحِ الْأَبْوَابِ⁽⁶⁾، فَقَدْ عَاقَتْهُ إِتْقَانُهَا لِلْمَكْرِ بِكُونَ الْأَبْوَابِ كَانَتْ مُعْلَقَةً، فَكَانَ يَشْتَغِلُ بِفَتْحِهَا، فَتَعَلَّقَتْ بِأَذْنَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ قَمِيصِهِ، وَهُوَ مَا كَانَ مِنْ وَرَائِهِ خَوْفَ قَوَاتِهِ، فَاشْتَدَّ تَعَلُّقُهَا بِهِ مَعَ إِعْرَاضِهِ هُوَ عَنْهَا وَهَرَبِهِ مِنْهَا، فَفَتَحَهَا وَأَرَادَ الْخُرُوجَ فَمَنْعَتْهُ⁽⁷⁾.

فائدة التعريف في لفظ ﴿الْبَابَ﴾:

فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ التَّعْرِيفُ فِي ﴿الْبَابِ﴾ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ؛ إِذْ كَانَتْ عِدَّةُ أَبْوَابٍ مُعْلَقَةً، وَذَلِكَ أَنَّ يُوسُفَ ۖ فَرَّ مِنْ مُرَاوَدَتِهَا إِلَى الْبَابِ، يُرِيدُ فَتْحَهُ وَالْخُرُوجَ، وَهِيَ تَرِيدُ أَنْ تَسْبِقَهُ إِلَى الْبَابِ، لَتَمْنَعَهُ مِنْ فَتْحِهِ، فَأَدْرَكَتْهُ، فَلَزِمَتْهُ⁽⁸⁾.

الإشارة إلى
افتراقهما في
القصد، والغاية
هي الطلب،
وهو هنا الهرب

بيان إتقانها
للمكر بتغليقها
للأبواب، ممّا
أخره عن فتحها

إفادة أن كل
أبواب القصر
كانت مُعْلَقَةً

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 18/444.

(2) الرّمخسري، الكشف: 2/458، والتّيسابوري، غرائب القرآن: 4/80، والالوسي، روح المعاني: 6/408.

(3) ملاً حويش، تفسير القرآن العظيم: 3/198.

(4) الثّعالبي، الجواهر الحسان: 3/321.

(5) اللّوادي، الثّكت والعيون: 3/27.

(6) الصّاوي، حاشية الصّاوي علي الجلالين: 2/169.

(7) البقاعي، نظم الدرر: 10/66.

(8) العليمي، فتح الرحمن: 3/410، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/255.

حِكْمَة إِفْرَاد لَفْظ «الْبَاب»:

قوله تعالى: «وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ»، ذكر بعض المفسرين أنَّ حكمة إفراد الباب هنا وجمعه فيما تقدّم؛ أنَّها لم تتمكّن من المُرَاوَدَة، إلّا بعد تغليق تلك الأبواب، وأمّا فرازه وتسابقهما، فلم يكن إلّا عند باب من تلك الأبواب⁽¹⁾؛ أي: الباب الخارجيّ البرانيّ الذي هو المخرج من الدّار، والمُخْلَص من العار⁽²⁾.

الإشارة إلى
الباب المُخْرَج من
الدّار، والمُخْلَص
من العار

واستشكل بأنّه كيف يَسْتَبَقَان إليه، ودونه أبواب جَوَانِيَّة، بناء على ما ذكروا من أنَّ الأبواب كانت سبعة، وأجيب بأنّ أقفال هاتيك الأبواب، كانت تَتَنَاشَر إذا قُرِبَ إليها⁽³⁾ يوسف ﷺ، وتفتّح له؛ ويحتمل أنّه لم تكن تلك الأبواب المغلقة على التّرتيب باباً فباباً، بل كانت في جهات مختلفة كلّها منافذ للمكان الذي كانا فيه، فاستبقا إلى باب يخرج منه⁽⁴⁾.

دلالة فعل (القدّ) وإسناده إلى المرأة:

(القدّ) في قوله: «وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ»: القطع والشّق، وأكثر استعماله فيما كان طويلاً وهو المراد هنا بناء على ما قيل: إنّها جذبتَه من وراء فانخرق القميص إلى أسفله⁽⁵⁾، بسبب تلك المُجَادَبَة القويّة؛ لأنّ كلّاً منهما بذل غاية قوّته فيها، فاجتماع القوتين سبّب القدّ؛ إذ لو تراخى أحدهما لما وَقَعَ⁽⁶⁾؛ وإسناد القدّ إليها خاصّة، مع أنّ لقوّة يوسف أيضاً دخلاً فيه، إمّا لأنّها الجزء الأخير للعِلّة التّامّة وإمّا للإيذان بمبالغتها في منعه عن الخروج، وبذل مجهودها في

بيان كونها
فاعلة للإمساك
بالثوب في منعه
عن الخروج
ببذل مجهودها
في ذلك

(1) الصّاوّي، حاشية الصّاوّي على الجلالين: 2/169.

(2) الرّمخشريّ، الكشّاف: 2/458.

(3) السّفيّ، مدارك التّنزيل: 2/312.

(4) الألوسيّ، روح المعاني: 6/408.

(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/259.

(6) ملاّ حويش، تفسير القرآن العظيم: 3/198.

ذلك، لفوت المحبوب أو لخوف الافتِضاح⁽¹⁾؛ ولم يُضَرَّ يوسف ﷺ،
أنَّ قَدَّت قميصه وهو لباس دُنياء، بعدما صحَّ عليه قميصُ تقواه⁽²⁾.

سِرُّ إِيثار لَفْظِ (الْقَدِّ) دُونَ (الْقَطِّ):

سبق أنَّ معنى (الْقَدِّ) قَطْعُ بِالطُّوْلِ وكذلك هي اللَّفْظَةُ، في قول
النَّابِغَةِ يَصِفُ السُّيُوفَ:

تَقْدُّ السُّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ *** وَتُوقِدُ بِالْصَّفَاحِ نَارَ الْحَبَاحِ⁽³⁾
فإنَّ قوله: (تُوقِدُ بِالْصَّفَاحِ) يقتضي أَنَّ القَطْعَ بِالطُّوْلِ⁽⁴⁾، في
نفوذها مِنَ الْفَارِسِ وَدِرْعِهِ وَفَرَسِهِ، إِلَى الْحِجَارَةِ تَحْتَهُ؛ فَأَمْرَادُ هُنَا
بِنَاءٌ عَلَى مَا قِيلَ إِنَّهَا جَذَبَتْهُ مِنْ وَرَاءِ، فَانْخَرَقَ الْقَمِيصُ إِلَى أَسْفَلِهِ،
أَمَّا (الْقَطُّ) فَيُسْتَعْمَلُ فِيهَا كَانَ عَرْضًا، وَعَلَى هَذَا جَاءَ مَا قِيلَ فِي
وَصْفِ عَلِيٍّ ﷺ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا اعْتَلَى قَدًّا، وَإِذَا اعْتَرَضَ قَطًّا⁽⁵⁾، فَالْقَدُّ
وَالْقَطُّ نَوْعَانِ مِنَ الْقَطْعِ، وَفِيهِمَا أَيْضًا لَطِيفَةٌ اتِّفَاقِيَّةٌ، لِأَنَّ الْقَدَّ قَطْعُ
الشَّيْءِ مِنْ نِصْفِهِ أَوْ قَطْعُهُ نِصْفَيْنِ، وَالْقَطُّ قَطْعُ الطَّرَفِ كَمَا فِي
الشَّمْعِ وَالْقَلَمِ، فَكَأَنَّهُ لَكُونُهُ قَلِيلًا مِنَ الْقَطْعِ نَقَصَ مِنْهُ الْعَيْنُ⁽⁶⁾.

نَكْتَةُ الْاِقْتِصَارِ عَلَى قَدِّ الْقَمِيصِ:

في قوله تعالى: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾ اختصارٌ مُعْجَزٌ لِنَظْمِ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ، يُصَوِّرُ كَيْفَ أَدْرَكَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ يَوْسُفَ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ
مِنَ الْبَابِ، فَتَعَلَّقَتْ بِقَمِيصِهِ مِنْ خَلْفِهِ، وَجَذَبَتْهُ إِلَيْهَا؛ حَتَّى لَا
يَخْرُجَ فَقَطَعَتْ قَمِيصَهُ⁽⁷⁾، وَقَدْ جَاءَ طَيِّ تَفَاصِيلِ التَّدَافُعِ وَالِاشْتَبَاكِ

إِفَادَةُ أَنَّ الْقَدَّ
قَطْعُ بِالطُّوْلِ مَعَ
امْتِدَادٍ، وَالْقَطُّ
قَطْعُ بِالْعَرْضِ
مَعَ نَقْصٍ

بَيَانُ إِبْدَاعِ الْآيَةِ
فِي الْإِيجَازِ بِجَمْعِ
الْمَعَانِي الْمَتَدَاخِلَةِ
فِي عِبَارَةٍ قَصِيرَةٍ

(1) أَبُو الشَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 4/267.

(2) الْقُشَيْرِيُّ، لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ: 2/179.

(3) الْبَيْتُ لِلنَّابِغَةِ، زِيَادُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدُّبَيَّانِي، مِنَ الطُّوِيلِ، يُنْظَرُ: ابْنُ قَتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيُّ، الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ:

1/168، وَعَبْدُ الْحَبَّارِ وَخَفَاجِي، قِصَّةُ الْأَدَبِ فِي الْحِجَازِ، ص: 548.

(4) ابْنُ عَطِيَّةٍ، الْحَزْرُ الْوَجِيزُ: 3/235.

(5) أَبُو الشَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 4/267.

(6) الْقِتَوَجِيُّ، فَتْحُ الْبَيَانِ: 3/404.

(7) النَّحَّاسُ، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ 2/199، وَالذَّرَّةُ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: 4/569.

والتَّجَادُب، مُبِينًا عن المُرَاد، بليغًا في بابه، مَشْحُونًا بِإِشَارَاتٍ إِلَى مَا تُفَرِّزُهُ الْمَشَاهِدُ مِنْ مَوَاقِفَ حَسَّاسَةٍ، وَتَصَرُّفَاتٍ جَوْهَرِيَّةٍ مُهِمَّةٍ، تَدْخُلُ فِي بِنَاءِ الْقِصَّةِ، وَتُتِيحُ تَعَرُّفَ مَرَاكِحِهَا وَحَيْثِيَّاتِهَا.

دلالة قوله تعالى: ﴿مِنْ دُبُرٍ﴾:

قوله: ﴿مِنْ دُبُرٍ﴾؛ لَأَنَّهُ كَانَ مُوَلَّيًّا عَنْهَا مُعْرِضًا فَأَمْسَكَتَهُ مِنْهُ لِرَدِّهِ عَنْ إِعْرَاضِهِ⁽¹⁾؛ أَي: مِنْ خَلْفِهِ، قَبَضَتْ فِي أَعْلَى قَمِيصِهِ، فَتَخَرَّقَ الْقَمِيصُ عِنْدَ طَوِّقِهِ، وَنَزَلَ التَّخْرِيقُ إِلَى أَسْفَلِ الْقَمِيصِ⁽²⁾، مِنْ خَلْفِ لَا مِنْ قُدَّامٍ؛ لِأَنَّ يَوْسُفَ كَانَ هُوَ الْهَارِبُ، وَكَانَتْ هِيَ الطَّالِبَةُ⁽³⁾، وَلَكِنْ صَارَ فَعْلُهَا وَبَالًا عَلَى نَفْسِهَا، فَكَانَ بِلَاؤُهَا مِنْ حَيْثُ طَلَبَتْ رَاحَتَهَا وَشَفَاءَهَا، وَكَانَ فِي ذَلِكَ افْتِضَاحُ أَمْرِهَا؛ لِأَنَّ قَبْضَهَا عَلَى قَمِيصِهِ، كَانَ مَزْجُورًا عَنْهُ، لِيُعْلَمَ أَنَّ الْفَاسِدَ شَجُّهُ فَاسِدٌ. وَكَانَ صَاحِبَ الْبَلَاءِ فِي الْهَوَى مَسْلُوبَ التَّمْيِيزِ، فَصَارَ ذَلِكَ عَلَيْهَا حُجَّةً، وَلِيُوسِفَ دَلَالَةً صِدْقٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43]⁽⁴⁾.

بلغة الإيجاز في قوله: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾:

قوله تعالى ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾؛ أَي: وَصَادَفَ أَنَّ أَلْفَيَا زَوْجَهَا، وَهُوَ الْعَزِيزُ، عِنْدَ الْبَابِ الْخَارِجِيِّ يُرِيدُ الدُّخُولَ إِلَى الْبَيْتِ؛ وَقَدْ عَلِمَ مِنَ الْكَلَامِ أَنَّ يَوْسُفَ ﷺ فَتَحَ الْأَبْوَابَ الَّتِي غَلَقَتْهَا زُلَيْخَا بَابًا بَابًا، حَتَّى بَلَغَ الْخَارِجِيَّ، كُلُّ ذَلِكَ فِي حَالِ اسْتَبَاقِهِمَا، وَهُوَ إِيجَازٌ بَدِيعٌ أَيْضًا مَعَ مَا سَبَقَ مِنَ أَلْوَانِ الْإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ⁽⁵⁾.

سِرُّ استعمال الفعل (ألفى):

قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا أَلْبَابٍ﴾؛ أَي: وَجَدَا زَوْجَهَا،

تحديد القَدِّ؛
لأهميته ودوره
كقرينة استدلال
على الجُزْمِ

الدَّلالة على أكثر
من حَدَثٍ في
عبارة قصيرة

دلالتـه على
المفاجأة التي لم
تكن في الحُسبان

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/256.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/170.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/114.

(4) القشيري، لطائف الإشارات: 2/179.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/256.

وصادفاه فجأة وقد حضر في غير أوان حضوره⁽¹⁾ فحدثت المفاجأة الغربية المخرجة بقُدوم زوجها⁽²⁾، والإلقاء: وجدان شيء على حالة خاصة من غير سعي لوجدانه، فالأكثر أن يكون مُفاجئًا، أو حاصلاً عن جهل بأول حصول، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ [البقرة: 170]⁽³⁾.

نكتة استعمال ﴿سَيِّدَهَا﴾ بالإنفراد:

قوله: ﴿سَيِّدَهَا﴾؛ أي: زوجها، وقد كانت المرأة تقول لبعلها يا سيدي مُلكه التَّصَرَّف فيها، والقَبْطُ يُسْمَوْنَ الزَّوْجَ سَيِّدًا⁽⁴⁾، ولعلَّ الزَّوْجَ في مصر في ذلك العهد، كان بطريق المُلكِ غالبًا⁽⁵⁾، ولم يَقُلْ: سَيِّدَهُمَا، لأنَّ يوسف ﷺ كان في الحقيقة حُرًّا، ولم يَكُنْ العزيز له سيِّدًا⁽⁶⁾، فلم يدخل في رِقٍّ؛ لأنَّ المسلم لا يملك وهو السيِّد⁽⁷⁾؛ فلم يكن العزيز له سيِّدًا في الأمر نفسه، وأمَّا ما سبق من قوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾؛ أي: سيدي العزيز فبناء على زعمهم، ولعلَّ التَّعبير بسيِّدها دون زوجها، إشارة إلى نفي السَّيَادَةِ له ﷺ⁽⁸⁾، فلم يَقُلْ: سيِّدَهُمَا؛ لأنَّ استرقاق يوسف غير شرعيٍّ، وهذا كلام ربِّه العليم بأمره، لا كلام من استرقَّه⁽⁹⁾.

دلالة لفظ ﴿مَا﴾:

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ يحتمل أن تكون نافيةً، وهو الأظهر⁽¹⁰⁾؛ أي: ليس جزاؤه إلا السَّجْنُ. ويجوز أيضًا

بيان أن يوسف
لم يكن
مملوكًا، بل
بيع ظلمًا بئمن
بخس، وهو حرٌّ
في الأضل

الدَّلالة على أنَّ
أمره بيدها لا بيد
زوجها، وأنها
هي الحاكمة في
القضية

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 6/259.

(2) الرُّحَيْلي، الوسيط: 2/1102.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِير والتَّنْوِير: 12/256.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/171، والدَّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/474.

(5) ابن عاشور، التَّحْرِير والتَّنْوِير: 12/256.

(6) البقلي، عرائس البيان: 2/163.

(7) البقاعي، نظم الدرر: 10/66.

(8) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/296.

(9) للراعي، تفسير الراعي: 12/132.

(10) أبو حيَّان، البحر المحيط: 6/259.

أَنْ تَكُونَ اسْتِفْهَامِيَّةٌ: يعني: أيُّ شيءٍ جزاؤه إلا أَنْ يُسَجَّنَ؟ كما تقول: مَنْ فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدٌ⁽¹⁾، والمألُّ على كِلَا الاحتمالَيْنِ واحد⁽²⁾.

بلادة الفضل في: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ﴾:

جملة: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ مستأنفةٌ بيانيًّا؛ لِأَنَّ السَّامِعَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهَا الْفَيَاهُ وَهُمَا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، كَانَ كَأَنَّهُ قِيلَ: مَاذَا حَدَّثَ؟ وَمَاذَا فَعَلَتْ عِنْدَ مُفَاجَأَةِ سَيِّدِهَا وَهُمَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ الْعَجِيبَةِ؟⁽³⁾، فَقِيلَ: ﴿قَالَتْ﴾ مُبَادِرَةً مِنْ غَيْرِ حَيَاءٍ وَلَا تَلَعُّمٍ⁽⁴⁾، فَجَاءَ الْفَصْلُ هُنَا لِلْجَوَابِ بِاسْتِنَافٍ مَبْنِيٍّ عَلَى سَوَالٍ سَائِلٍ⁽⁵⁾.

نكتة مُبَادِرَةِ الْمَرْأَةِ بِالْقَوْلِ:

عَدِمَ نُطْقُهُ ﷺ أَوَّلًا، مَعَ مَا لَهُ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ، لِكَمَالِ النَّزَاهَةِ، وَثِقَةٍ مِنْهُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُظْهِرُهُ وَيُظْهِرُ بَرَاءَتَهُ وَالْأَمْرَ وَقَعَ كَذَلِكَ، وَاتَّضَحَ تِمَامُ الْعِفَّةِ هُنَاكَ، وَأَمَّا زُلَيْخَا فَلِكَمَالِ خَوْفِهَا بِادْرَتِ الْجَوَابِ وَاسْتِنَافِ سَيِّدِهَا عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ، إِيهَامًا بِأَنَّهَا فَرَّتْ مِنْ يَوْسُفَ؛ تَبَرُّتًا لِسَاحَتِهَا عِنْدَ زَوْجِهَا، وَلِتَغْيِيرِ قَلْبِهِ عَلَى يَوْسُفَ، وَلِتُغْيِرَ بِهِ انْتِقَامًا مِنْهُ؛ إِذْ لَمْ يَسْتَجِبْ لِرَغْبَتِهَا، فِيمَا طَلَبَتْ مِنْهُ، لَكِنْ لَيْسَ لِلْخَائِنِ حُسْنُ الْمَأْبِ⁽⁶⁾.

دلالة تقديم الكلام في قالب كَلِّي:

فِي قَوْلِهَا: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ابْتَدَرَتْهُ زَوْجَتُهُ بِالْكَلامِ إِمعَانًا فِي الْبَهْتَانِ بَحِثَ لَمْ تَتَلَعَّمْ،

كُونِ السِّيَاقِ
جَوَابًا لِمَا يَقَعُ فِي
ذِهْنِ السَّامِعِ،
عِنْدَ هَذِهِ الْمَفَاجَأَةِ

بَيَانُ ثِقَةِ يَوْسُفَ
ﷺ فِي رَبِّهِ،
وَمُبَادِرَتِهَا تَبَرُّتًا
لِسَاحَتِهَا

بَيَانُ ذِمَّاءِ
الْمَرْأَةِ وَعَجِيبِ
مَكْرِهَا فِي
الْمُبَادِرَةِ بِالْجَوَابِ
الْعَجِيبِ فِي
الْمُوقِفِ الْمُرِيبِ

(1) الْفَخْرُ الرَّازِي، مِفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 18/444، وَالْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدُّرَرِ: 10/67.

(2) الْقَوْنُوِّيُّ، حَاشِيَتُهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ: 10/296.

(3) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 12/256.

(4) الْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدُّرَرِ: 10/67.

(5) أَبُو الشَّعْوَدِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 4/267.

(6) الْقَوْنُوِّيُّ، حَاشِيَتُهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ: 10/297، وَالدُّزِّيُّ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَإِعْرَابُهُ

وَبَيَانُهُ: 4/569.

وَحَيَّلَتْ لَهُ أَنَّهَا عَلَى الْحَقِّ، وَأَفْرَغَتْ الْكَلَامَ فِي قَالِبِ كُلِّي لِيَأْخُذَ صِيغَةَ الْقَانُونِ، وَلِيَكُونَ قَاعِدَةً لَا يُعْرِفُ الْمَقْصُودَ مِنْهَا، فَلَا يَسْعُ الْمُخَاطَبُ إِلَّا الْإِقْرَارَ لَهَا. وَلَعَلَّهَا كَانَتْ تَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةَ الْعَزِيزِ لِيُوسُفَ ﷺ مَانِعَةً لَهُ مِنْ عِقَابِهِ، فَأَفْرَغَتْ كَلَامَهَا فِي قَالِبِ كُلِّي. وَكَانَتْ تَرِيدُ بِذَلِكَ أَلَّا يَشْعُرَ زَوْجُهَا، بِأَنَّهَا تَهْوَى غَيْرَ سَيِّدِهَا، وَأَنْ تُخِيفَ يُوسُفَ ﷺ مِنْ كَيْدِهَا لئَلَّا يَمْتَنِعَ مِنْهَا مَرَّةً أُخْرَى⁽¹⁾.

وهذه الجملة الكريمة التي حكاها القرآن الكريم عنها، تدلُّ على أَنَّ تلك المرأة كانت في غاية المكر والدَّهَاءِ والتَّحَكُّمِ في إرادة زوجها⁽²⁾؛ فَقَدْ أَتَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الَّتِي يُدْهَشُ فِيهَا الْفَطِنُ اللَّوْذِعِيُّ؛ إِذْ شَاهَدَهَا زَوْجُهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ الْمُرِيَةِ، بِحِيلَةٍ جَمَعَتْ فِيهَا غَرَضِيَّتَهَا، وَهُمَا تَبَرُّتَا سَاحَتَهَا مِمَّا يَلُوحُ مِنْ ظَاهِرِ حَالِهَا، وَاسْتَنْزَالَ يُوسُفَ عَنْ رَأْيِهِ، فِي اسْتِعْصَائِهِ عَلَيْهَا، وَعَدَمِ طَاعَتِهِ لَهَا، بِالْقَاءِ الرُّعْبِ فِي قَلْبِهِ مِنْ مَكْرِهَا طَمَعًا فِي مَوَاقِعَتِهِ لَهَا كُرْهًا عِنْدَ يَاسِهَا عَنْ ذَلِكَ اخْتِيَارًا، كَمَا قَالَتْ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَلَيْنَ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: 32]⁽³⁾.

نكتة الاسم للموصول ﴿مَنْ﴾:

قولها: ﴿مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾، لَمْ تُصَرِّحْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ بِاسْمِ يُوسُفَ ﷺ، بَلْ أَتَتْ بِالْمَوْصُولِ ﴿مَنْ﴾؛ لِأَنَّهَا لَمَّا شَاهَدَتْ مِنْ يُوسُفَ ﷺ، أَنَّهُ اسْتَعْصَمَ مِنْهَا مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِي عُنْفَوَانِ الشَّبَابِ، وَكَمَالِ الْقُوَّةِ وَنَهَايَةِ الشَّهْوَةِ، عَظُمَ اعْتِقَادُهَا فِي طَهَارَتِهِ وَنَزَاهَتِهِ، فَاسْتَحْتِ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ يُوسُفَ قَصَدَنِي بِسُوءٍ، وَمَا وَجَدْتُ مِنْ نَفْسِهَا أَنْ تَرْمِيَهُ بِهَذَا الْكَذْبِ عَلَى سَبِيلِ التَّصْرِيحِ، بَلْ اكْتَفَتْ بِهَذَا التَّعْرِيزِ، وَقَدْ

التَّعْرِيزُ
بِجُمْلَةٍ مِنْ
الْمَعَانِي جَفْظًا
لِشَرْفِهَا،
وُمُرَاعَاةٍ
لِزَوْجِهَا، وَإِشَارَةٍ
خَفِيَّةٍ لَصَوْنِ
غَرِيمِهَا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/256.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/345.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/268.

يُرَاد أَنَّ يَوْسُفَ ﷺ، أَرَادَ أَنْ يَضْرِبَهَا وَيُدْفَعَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا جَارِيًا مَجْرَى السُّوءِ، فَقَوْلُهَا: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ﴾ جَارٍ مَجْرَى التَّعْرِيزِ، فَلَعَلَّهَا بِقَلْبِهَا كَانَتْ تَرِيدُ إِقْدَامَهُ عَلَى دَفْعِهَا وَمَنْعِهَا، وَفِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ كَانَتْ تُوْهِمُ أَنَّهُ قَصَدَنِي بِمَا لَا يَنْبَغِي⁽¹⁾؛ وَلَمْ تَقُلْ: (هَذَا أَرَادَ بِأَهْلِكَ السُّوءَ، وَجَزَاؤُهُ السَّجْنُ)، بَلْ قَصَدَتْ الْعُمُومَ، وَأَجْمَلَتْ أَيْضًا حَيَاءً، وَحِشْمَةً لِبَعْلِهَا⁽²⁾، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى عَبَّرَتْ بِالْمَوْصُولِ صَوْنًا لِلْمَحْبُوبِ عَنِ الذِّكْرِ بِالسُّوءِ وَالْأَلَمِ⁽³⁾.

سِرُّ اسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ الْمَاضِي ﴿أَرَادَ﴾:

تَوَجِيهِ جُمْلَةٍ: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ﴾ أَنَّهُ لَمَّا رَأَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْفَضِيحَةَ فَزَعَتْ إِلَى ظُلْمِ يَوْسُفَ وَالبَغْيِ عَلَيْهِ، فَأَرَتِ الْعَزِيزُ أَنَّ يَوْسُفَ أَرَادَهَا⁽⁴⁾، وَجَعَلَتْ صُدُورَ الْإِرَادَةِ الْمَذْكُورَةَ عَنْ يَوْسُفَ ﷺ أَمْرًا مُحَقَّقًا مَفْرُوعًا عَنْهُ غَنِيًّا عَنِ الْإِخْبَارِ بِوُقُوعِهِ⁽⁵⁾ مِنْ خِلَالِ تَعْبِيرِهَا بِالْفِعْلِ الْمَاضِي لِلدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَفِي تَعْبِيرِهَا بِالْإِرَادَةِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَجَاوِزْ حَدَّ الرَّغْبَةِ وَالْإِرَادَةِ⁽⁶⁾ تَبَرُّثًا لِنَفْسِهَا مِنْ وَقُوعِ الْفِعْلِ الْمُشِينِ.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ فِي ﴿بِأَهْلِكَ﴾:

ذَكَرَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ نَفْسَهَا بِعَنْوَانِ أَهْلِيَّةِ الْعَزِيزِ، إِعْظَامًا لِلخَطْبِ وَإِغْرَاءً لَهُ عَلَى تَحْقِيقِ مَا يَتَوَخَّاهُ بِحُكْمِ الْغَضَبِ وَالْحَمِيَّةِ⁽⁷⁾.

نَكْتَةُ تَنْكِيرِ لَفْظَةِ ﴿سُوءًا﴾:

مَعْنَى ﴿سُوءًا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾: أَيُّ شَيْئًا يَسُوؤُكَ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، كَمَا يُدُلُّ عَلَيْهِ تَكْرِيرُ اللَّفْظِ⁽⁸⁾،

الدَّلَالَةُ عَلَى
تَحَقُّقِ وَقُوعِ ذَلِكَ
فِي الْمَاضِي، وَكَوْنُهُ
إِرَادَةً وَرَغْبَةً لَا
مِمَارَسَةً وَفِعْلًا

إِعْظَامُ الْخَطْبِ،
وَإِغْرَاءُ الْعَزِيزِ
عَلَى تَحْقِيقِ
الْعُقُوبَةِ

إِفَادَةُ الْإِبْهَامِ
وَالْإِبْهَامِ، بَعْدَ
تَحْدِيدِ نَوْعِ
السُّوءِ وَمَقْدَارِهِ،
تَعْمِيمًا لِمَا يَسُوءُ

(1) الألويسي، روح المعاني: 6/410.

(2) الخفاجي، غناية القاضي: 5/291.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 18/445.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/235.

(5) الألويسي، روح المعاني: 6/409.

(6) الخطيب، التفسير القرآني: 6/1259.

(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/268.

(8) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/286، والراعي، تفسير الراعي: 12/132.

وفي هذا التَّنْكِير دلالة على اكتمال قُدرتها على المكر والدَّهاء، والتي مِنْ مَظاهرها مُحاولتها إيهامَ زوجها بأنَّ يوسف قد اعتدى عليها بما يَسُوؤُها ويسوؤُه، ولكنَّ بدون تصريح بهذا العُدوان شأن العاشق مع معشوقه حتَّى لا يسعى زوجها في التَّخْلِصِ منه ببيعِه مثلاً⁽¹⁾.

سِرُّ طَرَحِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ لِبِدَائِلِ الْعِقَابِ:

في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ اقترحت امرأة العزيز في أمر يوسف ﷺ صِنْفَيْنِ مِنَ الْعِقَابِ، وهُما: السَّجْنُ؛ أي: الحَبْسُ، وكان الحبس عقاباً قديماً في ذلك العصر، واستمرَّ إلى زمن موسى ﷺ، فقد قال فرعون لموسى ﷺ: ﴿لَئِنْ آتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: 29]، والصَّنْفُ الثَّانِي هو العذاب، وهو أنواع، ومنه الضَّرْبُ والإيلامُ بالنَّارِ وبِقَطْعِ الأَعْضاء وغيرها⁽²⁾. وهكذا تَنَهَّم، وتَحَكَّم في التَّهْمَة، فلا تَدَعُ لزوجها فُرْصَةً للتَّفكير، فيما ينبغي أَنْ يُواجَهَ به هذا المَوْقِف، فها هو ذا الحلُّ حاضر بين يديه، لا يحتاج منه إلى تفكير⁽³⁾، فَتَكَلَّمَتْ في الجزاء؛ أي: إِنَّ الذَّنْبَ ثَابِتٌ مُتَقَرَّرٌ⁽⁴⁾.

نَكْتَة تَقْدِيمِ السَّجْنِ وَتَأْخِيرِ الْعَذَابِ:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وفيه قَدَمَتْ امرأة العزيز ذِكْرَ السَّجْنِ لِحِفَّتِهِ، وَأَخَّرَتْ الْعَذَابَ لِشِدَّتِهِ⁽⁵⁾، وذلك لِحُبِّهَا الشَّدِيدِ لِيُوسُفَ ﷺ، فَحَمَلَهَا هَذَا الْحُبُّ عَلَى رِعَايَةِ دَقِيقَتَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِع، وذلك لِأَنَّهَا بَدَأَتْ بِذِكْرِ السَّجْنِ وَأَخَّرَتْ ذِكْرَ الْعَذَابِ؛ لِأَنَّ الْمُحِبَّ لَا يَسْعَى فِي إِيْلَامِ الْمُحِبُّوبِ⁽⁶⁾، وَعَيْنَتَهُ لئَلَّا يَقْتُلَهُ،

أسلوب التهديد
من أجل الإقناع
والإلزام بأن
الذنب ثابت
مُتَقَرَّر

الإشارة إلى
حُبِّها الشَّدِيدِ
ليوسف،
وطمعها في
وصاله مستقبلاً

(1) طنطاوي، الوسيط: 7/345.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 12/257.

(3) الخطيب، التَّفْسِيرُ الْقُرْآنِي: 6/1259.

(4) ابن عطية، الْحَزْرُ الْوَجِيز: 3/235.

(5) الصَّاوِي، حَاشِيَةُ الصَّاوِي عَلَى الْجَلَالِين: 2/169.

(6) الألويسي، روح اللعاني: 6/409.

فَتَحَرَّزَتْ عَنْ قَتْلِهِ بِذِكْرِ غَيْرِهِ⁽¹⁾، وهي بهذا تُريد إخضاعه لإرادتها، وهَيِّمْنَتْهَا عَلَيْهِ⁽²⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ عَنِ السَّجْنِ:

قالت: ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾، والمراد منه أَنْ يُسَجَّنَ يوماً، أو أقلَّ على سبيل التَّخْفِيفِ، حَتَّى لَا يَبْتَغِدَ عَنْهَا كَثِيرًا؛ لِأَنَّ الْحَبْسَ الدَّائِمَ لَا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ، بَلْ يُقَالُ: يَجِبُ أَنْ يُجْعَلَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ، كَقَوْلِ فِرْعَوْنَ حِينَ هَدَّدَ مُوسَى ﷺ: ﴿لَئِنْ أَتَيْتَ إِلَّاهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾⁽³⁾ [الشَّعْرَاءُ: 29].

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِقَوْلِهَا: ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾:

مُخَالَفَةً التَّعْبِيرِ بِبَيِّنٍ ﴿أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابُ﴾ دون أَنْ يَقُولَ: (إِلَّا السَّجْنَ أَوْ عَذَابَ)، لِأَنَّ لَفْظَ السَّجْنِ يُطْلَقُ عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْمَسْجُونُ وَيُطْلَقُ عَلَى مَصْدَرِ سَجَنَ، فَقَوْلُهُ: ﴿أَنْ يُسَجَّنَ﴾ أَوْضَحُ فِي تَسْلُطِ مَعْنَى الْفِعْلِ عَلَيْهِ⁽⁴⁾.

دَلَالَةُ الْإِبْهَامِ فِي: ﴿أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾:

فِي إِبْهَامِ الْعَذَابِ زِيَادَةَ تَهْوِيلِ لَشَأْنِ الْجَزَاءِ الْمَذْكُورِ، بِكَوْنِهِ قَانُونًا مُطَّرِدًا فِي حَقِّ كُلِّ أَحَدٍ كَائِنًا مَن كَانَ، وَفِيهِ أَيْضًا مِبَالِغَةٌ فِي التَّخْوِيفِ⁽⁵⁾ مِنْ خِلَالِ إِفْهَامِ يَوْسُفَ عَنْ طَرِيقٍ مُبَاشِرٍ، بِأَنَّ أَمْرَهُ بِيَدِهَا لَا بِيَدِ زَوْجِهَا، وَأَنَّهَا هِيَ الْأَمْرَةُ النَّاهِيَةُ⁽⁶⁾.

نَكْتَةُ انْتِخَابِ الْأَسْمِ «عَذَابُ»:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾؛ أَيُّ: دَائِمٌ ثَابِتٌ غَيْرُ السَّجْنِ⁽⁷⁾؛ لِأَنَّ

مُرَاعَاةُ التَّخْفِيفِ
مُدَّةُ بُعْدِهِ حَتَّى
لَا يَبْتَغِدَ عَنْهَا
كَثِيرًا

التَّعْبِيرُ عَنِ
تَسْلُطِ مَعْنَى
الْفِعْلِ عَلَيْهِ،
بِعَقُوبَتِهِ
بِالسَّجْنِ فَعَالِيًا

التَّهْوِيلُ
لِلْأَمْرِ الْمَذْكُورِ،
وَالْمِبَالِغَةُ فِي
تَخْوِيفِ يَوْسُفَ



الدَّلَالَةُ عَلَى
دَوَامِ التَّعْذِيبِ
وَاسْتِمْرَارِهِ
طَمَعًا فِي
اسْتِجَابَتِهِ

(1) أَطْفَيْشٌ، تَبْسِيرُ التَّفْسِيرِ: 7/101.

(2) الدُّزَّةُ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَإِعْرَابُهُ: 4/569.

(3) الْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْعَالِي: 6/410.

(4) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 12/257.

(5) أَبُو الشَّعْوَدِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 4/268، وَالْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْعَالِي: 6/409.

(6) طَنْطَاوِيٌّ، الْوَسِيطُ: 7/345.

(7) الْخَازِنُ، ثَبَابُ التَّأْوِيلِ: 2/523.

دوام تعذيبه وإيلامه قد يكون داعياً له في الاستجابة آخر المطاف على حَدِّ زَعْمِهَا وَظَنِّهَا.

❖ الفروق المعجمية:

(ألفياً) و(وَجَدَا):

(ألفياً) تَدُلُّ على
وجود بهيئة
خاصة، ولفظ
(وَجَدَ) يَدُلُّ على
وجود عام

الوجدان يكون اتفاقاً على غفلةٍ من غير قصدٍ، ومنه وجدان الضالة، والإلقاء يفتضي وجداناً ما كان ثابتاً دائماً مستقراً⁽¹⁾. يُقال: ألفيته يُصلي؛ أي: وجدته على تلك الحالة⁽²⁾، ففيه معنى الوجود على هيئة خاصة، وأما الوجود مدلول (وجد) فهو وجود عام. وفي القرآن الكريم لم يرد الفعل (ألفى) إلا فيما هو مُشاهد محسوس، ولذلك قال بعض النحاة: إنه ليس من أفعال القلوب⁽³⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلَفُوا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ [الصفات: 69]، أما (وجد) ففي القرآن، وفي غير القرآن وردت قلبية وغير قلبية⁽⁴⁾، ومُشاهدة وغير مُشاهدة، فمثلاً قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: 37] وقال: ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: 86] وقال: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسْتَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62]، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 110]؛ فـ (وجد) أشمل وأعم من هذه الناحية أيضاً. ولما كان الفعل (ألفى) يتضمن معنى وجدان شيءٍ بشكل محسوس على حالة خاصة من غير سعي لوجدانه؛ فقد اُختير في سياق الآية دون غيره.

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/501.

(2) الفَيَّومِي، الصباح المنير: (الفي).

(3) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 1/150.

(4) الكفوي، الكلِّيات، ص: 175.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 22، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 7-19-978-9948-768

يشتمل على ارجاعات ببلوجرافية.

مج. 22: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 7-19-978-9948-768

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»